المنار
١٣١٥
فيه ما كتب من بشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

— قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء —

٣٠ في المحرم ١٣٤٠ — ١٠ الميزان (خ ١) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢ اكتوبر سنة ١٩٢١

الاسلام وسياسة الخلفاء

نقلنا هذه المقالة من الجزئين ٩ و ١٠ من المجلد الاول من مجلة الفجر التركية الغراء.

في اوائل العام الماضي ظهر في عالم المطبوعات كتاب تحت العنوان أعلاه للدكتور انسباطو المستشار السياسي بوزارة خارجية ايطالية نقلته الى اللغة الفرنسية الكاتبة البليغة الآنسة «ماتالي بلنام» فأحببنا تلخيص ما حواه هذا الكتاب المهم لقراء المنار ليكونوا على خبرة مما تخطه اليوم أقلام المفكرين الاجتماعيين في القارة الاوربية في المباحث الهامة الخاصة باحوال الممالك الاسلامية.

قال الدكتور انسباطو : « لايخفى ان السياسة الاستعمارية لايمكن أن تكون واحدة في كل الجهات والاقاليم وانها تختلف طبعا باختلاف الممالك وتباين عادات واخلاق سكانها مع مراعاة مصلحة كل مستعمر بانفرادها وعقائد اهاليها وانتمائهم المذهبي بخلاف السياسة العامة فانها واحدة في جميع الانحاء لانها مرتكزة على معرفة احوال الاسلام الاساسية التي لم تتغير قط اذ بالرغم من الهجمات الخارجية والانقسامات الداخلية، فان الاسلام من حيث جوهره لم يتبدل لما للمدنية التي تولدت منه من الصبغة العالية. ذلك لان الاسلام كان احسن طريقة للرفاق والتآخي بين الامم التي اعتنقته على اختلاف عنصرياتها وتباين اجناسها وأتم سبيل للتعارف الروحي، وهذا هو سر قوته وسرعة انتشاره الى اليوم انتشارا حار فيه فطاحل العلماء — ومن هنا ندرك أهمية الثورة التي يجتبيها السياسي الحاذق الذي يعرف كيف يستخدم تلك الآلة الدقيقة بنباهة وفطنة. ولا شك أن درس حقائق الدين الاسلامي على هذه الصورة سيعين على ازالة جميع الخرافات التي يروجونها ضد الاسلام وأخص منها بالذكر مايسمونه بالباطل (التعصب الاسلامي) الذي يصورون به الاسلام في شكل هيئة مخيفة تترصد الفرص للقضاء على الكفار: بيد أن الاسلام يظهر لمن عرف أسراره في زي مخالف لذلك على خط مستقيم حيث انه المدنية الوحيدة التي اكتنفت في حملها كل العقول على تباين مشاربها، وأفسحت مجالا واسعا لكل المساعي الصادقة ولو اختلفت طرائقها، كيف لا والاسلام دين التسامح والكرم الانساني وما صفتان ما وجدتا في قوم أو مدنية الا ونهضتا بها الى أرقى وأحسن الدرجات الاجتماعية ؟ ولا ينقص الامم الاسلامية اليوم لبلوغ تلك المرتبة العالية الا معرفة

أمة اوروبية لاتخفى تحت كلمات الرقي والتهذيب والحرية والأخوة التي تنشرها على الوينهابية (الاسترقاق السياسي والاقتصادي) الذي تنفر منه كل نفس أبية اذن فلا خوف مما يسمونه بالبانسلامزم الذي ليس هو الا آلة مرعبة اتخذها أولئك الانتفاعيون الذين يدعون معرفة الاسلام وهم عنه بعيدون، وما الحوادث المسربة للبانسلامزم الا حركات فكرية عادية لاخوف منها بل ربما أفادت المدنية بكيفية مهولة لو استخدمت لهذه الغاية الشريفة. ولذا لم يعد هناك موجب للسياسي الاوروبي ان يعنى بغير مركز العالم الاسلامي الاقتصادي، ذلك لان الاسلام من حيث هو قوة عاملة في الحياة الاقتصادية يقدر ان ينفي أو يفقر الممالك التي لها علاقة به ....»

ثم نظر الدكتور انبساطو نظرة اجمالية في الاساليب الاستعمارية التي تسلكها الدول الاوروباوية بمستعمراتها فابدى رأيه في كل منها ومما قاله في هذا الشأن «ان سياسة فرنسة بالممالك التابعة لها وان نالت الارجحية نظرا لما امتازت به عن غيرها من حرية الادارة والتسامح الفكري الا انها تفتقر الى فكرة ادارية واسعة بدونها لا يمكن الحصول على الثمرة المطلوبة من الاعمال العظيمة التي قامت بها هناك» ثم قال «انه يجب ان ترتكز سياسة البلاد الاسلامية على معرفة نظامات الاسلام معرفة دقيقة» ومن هنا انتقل المؤلف الى درس السلطة في الاسلام والقواعد التي تستند اليها فاتى في هذا البحث العريض بافكار دلت على تضلعه من الفقه الاسلامي وتاريخ المسلمين فقال «ان القرآن الشريف وأعمال الخلفاء الراشدين هي الاصول التي قامت عليها الديانة الاسلامية وحياة الامم الخاضعة لاحكامها، وان من اراد ان يفهم شؤونهم ويحلهم على المشاركة السياسية يجب عليه ان يقبل مبدئيا كافة قواعد دينهم لانه لاسبيل الى التفاهم مع المسلمين الا اذا عرفوا كما هم لا كما يراد ان يكونوا. والصعوبة الوحيدة التي تعترض السياسي في هذا الطريق انما هي التمييز بين ما لا يتبدل في الاسلام وبين ما هو قابل للتغيير والتطور والانطباق على الحالات الحياتية الجديدة، لان هذا الدين له خاصية أساسية يجب ان لا نغفل عنها ابدا وهي ملاءمته لكل الظروف بدون خروج عن حدوده الاصلية وصلوحيته لكل الاجيال والاقاليم والاخلاق - ومن الغلط ان نعتقد ان المذاهب الاربعة المضبوطة من حيث شكلها هي قواعد موبدة تقضي

ولا يصعب التوفيق بينها وبين المدنية الحديثة — ذلك لان سنة النبي تمثل تلك الصفة العالية التي اختص بها الاسلام ألا وهي ملاءمته لجميع الشعوب والاجناس مهما اختلفت منازلها واوانها ، الا انه يجب على الباحث الاوربي ان يتجنب الآراء الضالة والاغلاط النفسانية الناشئة عن عدم فهم السنة على حقيقتها ولذلك نحكم على حكومة الخلافة اليوم الناء كل ما قيل أو مر في الاسلام بعد عهد الخلفاء الراشدين ، ولا أقصد بذلك انه يجب اعدام أو اهمال أو مس هيكل العلم الاسلامي الذي وهب العالم اكثر القوانين دواما وأدقها من عدة وجوه ولكن حيث ان حكومة الخلافة سنية بكل معنى الكلمة كانها تستفيد من آثار كل المشرعين الذين منهم الائمة الاربعة وتسلخ منها ماتراه موصلا لنهوض الامم الاسلامية وسلما ترقى به الحياة والمدنية العصرية »

ومن هنا انتقل المؤلف الى درس مسألة الجهاد على اختلاف أطوارها وشروطها فقال : « إن الحرب مستحيلة قانونا بين الافراد والامم التي لها اتفاقات مع المسلمين وان عقد معاهدات معهم طبق اصول الشريعة المطهرة تضمن لنا السلم المطلق مع كافة اشياع النبي الكريم (صلعم) المنتشرين في العالم أجمع الخاضعين لتعاليم الكتاب والسنة المحمدية » ثم بسط القول على اركان الاسلام التي يجب على الدول الغربية احترامها وبالاخص الحج الى البيت الحرام » وختم كتابه البليغ بشرح مسألة الخلافة ودار الاسلام فقال « لا يمكن ان تحل مسألة الخلافة حلا اوربيا لانها مسألة دينية بحتة وليس لغير المسلمين حق في فصلها وابرامها ولا يجوز لاوربة المسيحية حملهم على تسويتها أو اكراههم على ذلك بوجه من الوجوه ، وعلى كل حال فالخليفة يجب ان يكون حرا بدار الاسلام الامر الذي يستلزم استقلال المدن الثلاث وهي مكة والمدينة والقدس وكذا الاستانة العلية عن كل سلطة مسيحية — وليست المشاكل التي ظهرت في الشرق بعد معاهدة سيفر الا نتيجة تعامي اللجنة عن التصديق بهذا المبدأ المسلم » ومن هنا تخلص الدكتور النباطو الى ابداء رأيه في السياسة التي ينبغي سلوكها مع المسلمين فحقق أن سياسة التآخي وتبادل المصلحة ممكنة بينهم وبين النصارى لان الفروق الدينية الفاصلة بينهم لا توجب التباغض والعداء لان التباين في تصور الحياة ومظاهرها لا يمنع الثقة والمودة بين الامم — كما أكد وجوب الاعتراف بيقظة المسلمين وبحقهم بطلب الى الة العلم والاحترام قائلا ان انتباههم أمر طبيعي

وفي مقدرتهم ومن واجبهم الاشتراك معنا في سبيل المدنية العامة وان يبذلوا لهذه الغاية من الكد والاجتهاد مابذلوه في صفوفنا مدة الحرب من الشجاعة والاقدام ، ويرى الكاتب ان تحقيق هذه الاماني لايتم الا بواسطة الطبقة المتنورة من المسلمين تلك الطبقة المبددة الافراد المنتشرة في كافة البلاد الشرقية التي تقاسي من العذاب الوانا بسبب الظروف الاجتماعية الحرجة المحاطة بها الى الآن فاذا أنجدنا هؤلاء المفكرين وأيدنا رغائبهم فاننا نجد منهم أثمن مساعدة سياسية ويعتقد الدكتور انسباطو انه يجب للحصول على ذلك أن نساعدهم على درس مؤلفاتهم بطريقه عصرية وان نفتح لهم أبواب المدنية الغربية لانهم سيكونون دعائم السياسة الاسلامية واكبر العاملين لانهاض المجتمع الاسلامي لفائدتهم ولفائدة الامم الاوربية المشرفة عليهم لاضدها - ولكن هذا يتوقف على ان تدرك اوربة المسيحية ان واجبها يقضي عليها باضاءة العالم الاسلامي بنور المدنية والعرفان اذ لاسبيل لان نجد بين المسلمين أشياعا مثقفين في مصلحتنا بالوسائط التي استعملتها اوربة الى الآن كالتجنيد الجبري وبث الدعوة بالصور والنشريات واستخدام أعوان لا هم لهم الا اكتساب المال أو امتلاك الذمم بوسائل الارشاء على اختلاف أنواعها لان الامم الاسلامية لايمكن لها ولا ترضى ان تقبل بالتضحية لغاية مغايرة للغاية التي ترمي اليها ، وهنا اضع القاعدة الاساسية لاتفاقنا مع الاسلام واجبا ان تسمم نصيحتي وان تكون كقانون ثابت لايتبدل وهي ان تسمح اوربة للمسلمين بان يعملوا لصالحهم ولصالح الاسلام . ويومئذ يصبح الاسلام ليس المساعد المهم في اعمالنا التمدنية فقط بل الصديق والحليف الذي يقلب بيقينه المكين العوالم ويحرك الجبال » اه

(المنار) لم نر لاحد من كتاب الافرنج كلاما مثل الدكتور انسباطو جمع بين الحق والمصلحة المشتركة التي لايمكن التوفيق بين الشرق والغرب بدونها فهذا الكلام مبني على علم صحيح بالاسلام والمسلمين ونصيحة حكيمة للافرنج المستعمرين ، ولكن أهل الشر والنهم من هؤلاء المستعمرين قلما ينظرون في كلام أمثال هؤلاء العلماء الناصحين ، والواجب على العقلاء منا أن يتعاونوا مع أمثالهم في سبيل خدمة الانسانية بهذه الطريقة السلمية فان لم يقبلها المغرورون اليوم فسيندمون غدا

القضاء والقدر في نظر الغربيين

مقالة منقولة عن المجلد الخامس عشر من مجلة الحج الأول

هي نخبة من علماء الافرنج بالبحث في اسباب رقي الاسلام وعلل انحطاطه ودونوا ذلك الكتب الضخمة واستفرغوا المجهودات الجمة وانفقوا الاوقات الثمينة، فكانت نتيجة مباحثهم مسفرة على ان رقي المسلمين واعتلاء كلمتهم في الاعصر المتقدمة وسرعة انتشار الدين الحنيف في اطراف المعمورة انما الفضل فيه لبساطة تعاليم الدين ووضوحها وموافقتها للفطرة التي فطر الله عليها الانسانية، فبساطة تعاليم الدين ونزاهة غرضه وسمو مبادئه قد جلبت اليه أقواماً دخلوا فيه أفواجا وهرعوا الى اعتناقه زرافات ووحدانا، فاصبحوا بنعمته اخوانا، وعلى تأييد أعوانه ولحماية بيضته انصارا وأخدانا

اهتدوا بهديه وأشرقت على قلوبهم شمس رشده التي أضاءت لهم سبل السداد وأنارت لهم طرق الحق والارشاد فانتشروا في أطراف المعمورة يساهمون في تشريك الامم في هذا النور العظيم ويعملون على ايقاظ الشعوب الذين كانوا ينامون في ليل من الجهل بهيم وشهد التاريخ ودات الانباء وأجمعت كلمة المؤرخين المنصفين على انهم كانوا في تلك الاثناء رائدهم الصدق والاخلاص، وقائدهم العدل والاحسان؛ ودليلهم في اعمالهم البر والتسامح والرفق ببني الانسان. اما الصفات التي سادوا بها فحدث ماشئت عن ثبات وجلد ويقين في النجاح وصبر على السراء والضراء، وشكر في حالتي الشدة والرخاء، وسواء لديهم أطاب عيشهم أم حل بهم ألم اللأواء. هذا الى عزم يقد الجبال، واتحاد في السر والاعلان، وتظافر على المصالح واعتصام بحبل الله في جميع الاحوال. هذه الصفات العالية اذا انطبعت في نفوس وهم عربية زكية عرفنا بها سر تقدم المسلمين وأدركنا منها اسباب انتشار نفوذهم وسيطرتهم بسرعة البرق على أهم ارجاء العالم في ذلك التاريخ

على ان اولئك العلماء الذين أشرنا اليهم في مطالع هذا الفصل قد نظروا أيضا نظرة نقد واعتبار في الاسباب التي قضت على المسلمين بالتقهقر في بعض الجهات وما هي العوامل التي أفضت الى تقلص ظل نفوذه من كثير من الاقاليم والولايات (هذا ومرادهم هنا النفوذ الاسلامي فقط لا الدين والقومية اللذان لم يتغير من جوهرهما شيء كما كنا بيناه في مقال قبل هذا) فأطبقوا على ان ذلك نتيجة

لازمة تؤول اليها كل امة أخلدت الى الترف ومالت الى الراحة وجبرت في اعقاب الشهوات وأهملت الاخذ باسباب الحزم وتقاعست عن مجاراة الامم الراقية في طلبات العمل، فمنهم من يعزو الفشل الذي حل بالمسلمين لتعاليم دينهم التي يتوهمون انها تأمر بالرضى بالمقدور والاستسلام للامر المقضي، وهو وهم شائع عند كثير من الافرنج . وقد اعتنى بدحض ذلك أكابر علمائهم . والى القارئ الكريم مقتطفات من كلامهم تقوم انموذجا على ما وصلوا اليه من بعد الغور في المباحث العلمية ، ودقة النظر في الاحوال الاجتماعية

قال بارتلمي سانت ايلير المؤرخ الفرنسي الشهير الذي ولي وزارة الخارجية أحوالي سنة ١٨٨١ في القضاء والقدر :

« ومنهم من يتوهم ان الدين الاسلامي يأمر اشياعه بالكسل والفتور وارسال الحبال على الغوارب والاستسلام للمقدور . وهو وهم أدنى اليه قلة التثبت واهمال الروية في فهم اسرار هذا الدين

« رأينا فيما تقدم (في فصل سيرة النبي عليه السلام) حركته المستمرة وثقته بنفسه واعتماده عليها وماكان توكله على الله بأقل صدقا ، لكن كان يكتنفه حدود معقولة ولم يتمد قط الى ذلك التمامي المذموم الذي يفرضه العجز والبصر لا القضاء والقدر، القرآن يأمر المسلمين بالاذعان التام والاستسلام لمشيئة الله الامر الذي أوجب عليهم التحلي بالاسم الذي يحملونه وبه يفتخرون . لكننا لم نعثر في تعاليم هذا الدين ولا في سنة النبي على مايشعر بخلع أشرف المدارك النفسانية (الارادة) وتعطيلها عن العمل

« وليست الاحالة على المقادير الا علة من ضلالات النفوس الضعيفة تغلب عليها الكسل وناءت بحمل واجباتها فاستنامت للاقدار ، وحكمتها في نفسها تفعل ماتشاء وتختار . عندي ان هذا الفتور الذي عم المسلمين انما كان ناشئا عن عوائد الترف والاخلاد للراحة والنعيم فهو عجز عن العمل لاعقيدة وعلى كل حال فليس القرآن هو الذي يدعو اليه . اللهم الا اذا ارادوا تفسير بعض الآيات على غير ما اشتملت عليه حقيقة . الاسلام شعور يدرك به الانسان ضعفه وعجزه وافتقاره لخالقه ووجوب الخضوع له والركون لمليائه ولكن ليس ثم مايدعو ينبذ أجل قوة وأشرف ، وهبة اختصنا بها الباري سبحانه وهي الارادة .

« وقد تكلم في هذا الموضوع قبلنا « فيل » و « سبرنجر » فلنجمع صوتي

الى اسواتها وتقول : ان هذا الدين لدين عمل لا افضل رغم معتقد الجمهور »

وقال غستاف لوبون الفيلسوف الشهير صاحب كتاب « سر تطور المادة » في كتابه « حضارة العرب » مايأتي : -

« القرآن لم يأمر الناس بترك السعي والعمل أو الانسلاخ من خواص غرائز التنافس الحيوي فهو في هذا الموضوع لم يأت بأكثر مما في الكتب السالفة « التوراة » مثلا يعترف نخبة من الفلاسفة ان مجرى الامور لا يلحقه تبديل ، ونظام الخليقة يد مبدعة لا يعتريه تغيير ، فقد قال لوثر : منقح الديانة المسيحية تتفق « معظم آيات الكتاب في صعيد واحد على مناصبة « الحكم الحر Lidre arditre » وهذه الآيات لا أعني لها عددا بل هي الكتاب بأجمعه . وهذه عقيدة القضاء والقدر مفعمة بها الكتب الدينية لكل الامم وقد اعتنى بها الاقدمون واعتبروها قوة دونها قوى الرجال والآلهة والحوادث التي مقدراتها لا يشكون في وقوعها فهذا « أوديب » حين أخبره الكاهن ان سيقتل أباه ويتزوج بامه حاول بعبثا ايقاف هذا الامر فطفق يقدم النذور وأنواع القربات للآلهة بدون جدوى الى ان ضربت الايام بضرباتها فاذا هو متزوج بامه قاتل اباه كما هو مشهور . فالنبي العربي (صلى الله عليه وسلم) لم يأت بشيء عجاب فانه لم يخالف طريقة متقدميه ولا طريقة من بعده أي علماء العصر الحاضر فانهم يقولون كما قاله « لابلاس » و « بنيتر » : ان علما (الله) يكتنفه في طرفة عين القوى والاسرار التي في الطبيعة على اتساعها وتباعد اطرافها ويحيط خبرا باحوال الكائنات التي وضعت فيها كبيرها وصغيرها دقيقها وجليلها من شأنه ان لا يفوته شيء وان يكون علم المستقبل لديه كعلمه للماضي .

ثم ان عقيدة القضاء والقدر الشائعة في فلسفة الشرقيين ويدين بعض فلاسفة العصر هي نوع من الصبر والجلد على تلقي مكاره هذه الحياة ودرع حصينة لمكافحة النوائب والمضاضات . وقد كان العرب عاملين بهذه العقيدة في جاهليتهم ثم استمر عليها المسلمون ولم تدخل في شيء من ارتقائهم ولا من انحطاطهم اه

(المنار) ان ماشرحناه من حقيقة معنى القدر في القرآن ينقض بناء عقيدة الجبر التي اتبعنا بها سنن من قبلنا وفتن بها كثير من المتكلمين والصوفية فكان لها ذلك التأثير حسبه كثير من علماء الغرب من الاسلام وما هو منه بل سرى الى اهله ممن قبلهم كما فطن لذلك بعض المحققين منهم

صفحة	س	خطأ	صواب
٤٨٣	٨	بأسنا	بأسه تعالى
٤٨٥	٥	ولو شاء	ولو شاءت
٤٨٧	٧	حجه	حجة
»	٢٥	بن	ابن
٥٠٣	٢	،	
»	٨	هذه	هذا
٥٠٤	٢٨	انها	بأنها
٥٠٥	٢٧	ادارتها رعد	ارادتها رعد
		تجاوزه	تجاوزها
٥٠٧	٥	التى	التي
٥١١	١٧	مدار الملائكة	مدن الملائكة
»	٢٢	يجاذب	يجاذب
٥١٢	٢١	نقلو	نقلوا
٥١٣	٢٠	تتسامى	تتسامى
»	»	الرأفة الرأفة	الرأفة —
٥١٧	١٣	وافق	وافقت
٥١٨	٤	له	
٥١٩	١	وما قنين	وما قتين
»	١١	مطمع	مطمع فيه
٥٢٠	٩	واذا	اذا
»	١	اذا	اذ
٥٢٣	١١	زكي	ذكي
٥٢٤	٢١	لم يكن	لم يبق
»	٢٥	من القيام	نهر القيام
٥٢٦	٦	خبار	اخبار
٥٢٨	٩	[illegible]	[illegible]

صفحة	س	خطأ	صواب
٥٢٨	١٠	المفضوضة	المفضوحة
٥٢٩	١٦	والمروة	في المروة
٥٣٠	١	وكان	كان
»	٤	وفرضتها	وفرضها
»	١١	أول اتصال	الاتصال
»	١٢	بخيت	بخيتا
»	١٣	فيه	منه
٥٣١	٤	والتعصب	التعصب
٥٣١	٤	قطنوا	فطنوا لها
»	٥	الشيخ	مقالة الشيخ
٥٣٢	١٠	اعتزال	اعتزالا
»	٢٠	تجلي	تحلى
»	٢٢	،	جزءهم من
٥٣٣	١	لزم من خطأ	كما خطأ . ولا
»	٣	كما خطأ	أخطأ
»	١٧	اتقوا	اتقوا
٥٣٤	١٢	بهما	فيهما
٥٣٥	١٨	القمس	والقمس
٥٣٦	٦	السيل السيل	السبيل
»	٧	الامضاء	الرمضاء
٥٣٨	٢٢	خلافا	اختلافا
٥٣٩	١	يمينا	ثمينا
٥٤٢	٤	صغير	صفيرا
٥٤	٩	حادث	حادثا
»	٢٠	أذيبت جفرا	استلزم أن يذيبوا جفرا
٥١٦	١	الارهاق	الارهاق
»	٣	اتفاق	اتفاقات